إيمان مهيب

مهنة عليا

لقد تأخرت كثيرًا.. لا أعلم سبب استغرابي واستنكاري لتأخري المعتاد، أتأخر كل يوم ولكنني أصر على تكرار هذه الجملة كنوع من أنواع الإثبات لعقلي الباطن ولظروفي التي أحاربها بعملي. أحب عملي، لطالما رأيته مميزًا وكأنه عمل اللحظات الحرجة، وأحب أمي التي أتأخر عليها يوميًا على الرغم من مرضها ووحدتها في المنزل. أحضر لها الدواء وأهتم بالاتصال بها هاتفيًا لتذكيرها بمواعيده، ولكنها تحتاج إلى الاهتمام المعنوي أيضًا. غدًا.. ربما غدًا أستطيع الذهاب إلى المنزل مبكرًا.

ركبت سيارتي العتيقة التي توصلني إلى البيت بالكاد يوميًا، أدرت المحرك ولكنه لم يدر، حاولت مرارًا ولكن محاولاتي باءت بالفشل، نزلت من السيارة وأغلقت نوافذها جيدًا حتى لا تسرق، أعلم أن السارق لو رآها على حالتها تلك سيترك لي على زجاجها الملطخ رسالة مواساة، حسنًا، سأستقل سيارة أجرة. لم أنتظر كثيرًا حتى ظهرت سيارة أجرة، ظننتها قادمة من المجهول، لا أدري حقًا أين ومتى ظهرت. وكأنها طوق النجاة الذي أتى لإنقاذي في هذا الوقت المتأخر. قال السائق بصوت أجش: إلى أين ستذهبين؟

- إلى المعادي.

- حسنًا، اركبي.

انطلق السائق وكأنه يعلم أنني متأخرة، ولكنه ظل محدقًا لي في مرآة السيارة بنظرة تهكمية غريبة، ربما تدور في رأسه الظنون عن

تلك الفتاة التي تذهب إلى البيت في وقت متأخر من الليل. ولكن ما أثار الريبة في نفسي حقًا، أنه يسلك طريقًا معاكسًا، ليس هذا بالطريق الذي اعتدت أن أسلكه إلى منزلي. نظرت يمينًا ويسارًا لأجد معلمًا واحدًا يميز الطريق وأتأكد من خلاله أنه يسير في مساره الصحيح، ولكنني لم أجد، التفت إلى السائق وسألته باستغراب:

- ولكن يا أسطى ليس هذا بالطريق الذي اعتدت أن أسلكه ذهابًا إلى المعادي، أظنك أخطأت، أو أن هذا طريق مختصر؟!

ضحك الرجل ضحكة انتصار، أعقبها صوت إغلاق ابواب السيارة، وقال: أنا لا أخطئ، كما أن هذا ليس طريقًا مختصرًا، إنه طريقي أنا.

ثم أكمل ضحكته التي تكرر صداها في مخيلتي مرارًا!

قلت وقد هربت الدماء من عروقي:

- توقف، أريد النزول.

رد السائق بلهجته التهكمية التي شابهت نظراته: أتوقف؟! لقد أصبح التوقف من الماضي، لا توقف الآن.

ثم ضحك مجددًا وقال: لا تقلقي، إنه مجرد وقت بسيط وسينتهي أمرك. وأكمل ضحكاته المستفزة.

عليَّ أن أتمالك نفسي قليلًا، إن آخر ما أريده هو أن أبدو أمام ذلك الوغد باكية مرتعبة.

سألته بنفاد حيلة وأنا أفكر في حل لورطتي: أظن أن من أبسط حقوقي كفانية توشك حياتها على الانتهاء أن أعرف مصيري.

رد السائق بلامبالاة: إنهم مجموعة من تجّار الأعضاء يريدون جثة جديدة وهذا كل ما في الأمر.

ثم ضحك من جديد وكأنه يتلاعب بصيده!

جثة! أعضاء!

بالضبط، أنتن من تتجولن خارجًا في هذا الوقت المتأخر، وعند اصطيادكن تبدأن بالبكاء والعويل ...

قالها قبل أن أنقض على رقبته لأثقب شريانه السباتي بمشرطي العزيز قائلة: أنا طبيبة أيها الوغد.. طبيبة !

تدفقت الدماء من عنق الرجل الذي أوقف السيارة مذعورًا وهو يفقد دماءه ويفقد أيضًا كيفية إنقاذ نفسه في هذه المنطقة المنعزلة. لقد تحول هذا الرجل من صيادٍ إلى ضحية. ستقيد الواقعة لدى الشرطة دفاعًا عن النفس، أما هو فسيكون مصيره السجن، وهذا إن لم يمت. ولكنني اعتدت على الإصلاح .. الهاتف.. أين الهاتف؟ ألو، أريد سيارة إسعاف على العنوان التالي بأقصى سرعة لو سمحت .. معك الطبيبة (عليا)